الخطاب ودلالاته عند عبد الله بن المقفع

المدرس الدكتور عبد الحسين عبد الرضا العمري
المدرس المساعد أزهار فنجان صدام الامارة
جامعة ذي قار – كلية التربية

توطئـــــــة:-

الدلالة تعني (دراسة المعنى العام أو العلم الذي يـدرس المعنـى أو ذلـك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى) [١] ، فهو يدرس المعنى الذي هـو (مدلول الكلمة من الأشياء والأفكار والمشاعر وان اللفظ هو الدلالة الاسمية لـذلك المدلول، والإشارة الكلامية المستخدمة لبيان ظهوره) [٢] .

والدلالة تعني العلامة الدالة، ورد في التعريفات للشـريف الجرجـاني ان (الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، والشـيء الأول الدال، والثاني هو المدلول)[٣] .

ولكي يحقق مبدع النص غايته فإنه لا يلجأ إلى الكلمات المفردة من غيـر ان يعمد إلى خلق علاقة بين تلك الكلمات وفق تراكيب جملية ذات دلالة، أي إنـه يكشف عن السمات الدلالية من خلال التراكيب، فدلالة الكلمة المفردة وحدها تعنـي بدراستها معجمات وقواميس اللغة، أما دلالتها وهي في تراكيب جملية فان مجالها التحليلي الأدبي ومادتها النصوص الأدبية بمختلف أنواعها.

ان الألفاظ المفردة، إنما تعرض معانيها بضم بعضها إلى بعـض وانشـاء تراكيب بعلاقات اسنادية، اصطلح عليها المعنى الوظيفي[٤].

النظر إلى النص تعليلا وتحليلا على اساس أنه عمل ابـداعي يتوضـح بالتحليل تماسكه من عدمه، لأن هذا التماسك منظرٌ أستقرائي يكشف أسلوب الكاتب ويفرز أشكالية العلاقة بين ظاهر النص وباطنه وتحدد الخواص الأسلوبية للدلالـة

والمعنى تطبيقياً، لان الدلالة تعد كشفاً لمعنى المعنى، ورصداً لتحولات بنى الـنص وتعدد الأشكال اللغوية في النص مشفوعاً بالدلالات.

لذلك فان دراسة (خصائص الأسلوب والصـور الشـعرية والايقـاع ... والغموض وتوظيف الاساطير والحكم والامثال وغير ذلك مما يستوعب من مباحث البلاغة القديمة ويتجاوزها إلى مكتشفات الألسنية)[٥] تشير إلى أنه يمكـن دراسـة الأدب وآثاره الاجتماعية، وما يكون للمجتمع من أثر فيه على أسـاس ان الأدب أو المبدع هو جزء من المجتمع يتفاعل معه فيتأثر به ويؤثر فيه، الأمر الذي يستدعي وجود خطاب تتعدد فيه أشكال التعبير، ويشير إلى نظام فكري يتضمن منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية حول الواقع الاجتماعي بغية تملكه معرفياً، ومن ثم فهم منطقه الداخلي بواسطة عملية فكرية محددة فتنظم بناء المفاهيم والمقولات بشـكل استدلالي، تحكم تلك الضرورة المنطقية التي تصاحب إنتاج تلك المفاهيم.

طبيعة الخطاب:-

لقد وصف ميشيل فوكو الخطاب بانه (نظام تعبير متقن مضبوط)[٦] ، وهذا يمكننا من تحديد وجهة الخطاب عند عبد الله بن المقفع على أسـاس انـه ينطلـق مـن (المنظور التواصلي الاجتماعي للخطاب)[٧] ، لإنه في تعددية أشكاله يمثل حـدثاً مادياً وممارسة اجتماعية لها قوانينها وأشتراطاتها التي ينبغي الكشف عنهـا، عـن هذا يعني عن الخطاب قد تحقق زمنياً (لتقديم جدلية الحدث والمعنى، لإنه إذا انجز كل خطاب كحدث، فإن كل خطاب فهم، هو بمثابة دلالة)[٨] .

ان ما يميز الخطاب النثري عن الخطاب الشعري كثرة الأنزياحـات فـي الثاني عن الأول، لإن الخيال في الشعر معنى أكثر منـه فـي النثر،لانـه يمثـل الخلجات الشعورية التي تنتاب الإنسان، فإذا كان هناك خيالات في النص النثـري فذلك يمثل شعرية في النص ، من ذلك ما نجده في الأمثال لانها وان كانت تمثـل خطاباً مباشراً، إلا إنها بما فيها من إيقاع تتلـبس بالمحاكـاة والخيـالات [٩] ، لان التعبير المباشر للخطاب يعتمد على ٠الأستدلال والأحتجاج وسرد الأدلة والبراهين

والحوادث)[١٠]، بغية ممارسة الأقناع للمتلقي لانه (يجد نفسه في علاقة لصيقة مع المنطوق)[١١] ، إذ إن فاعلية النص عند ابن المقفع وقدرته على التحريك ودفع المتلقي بالإتجاه الذي يريده النص، هو بحد ذاته هدف من أهداف الكاتب في نتاجه الأدبي، إذ يشير إلى عملية تواصلية في الخطاب بصيغ متعددة، فقد تتراكم الجمل الطلبية والشرطية بصيغة الخطاب المباشر، إذ نرى أنه يعتمد صيغ الخطاب الوصفي والإرشادي، وقد يعتمد صيغ الخطاب غير المباشر وفي جميع أنواع الخطاب التي انتظم فيها نتاجه الأدبي، كانت غايته القناع حيث أفاد كثيراً من الجمل المتراكمة بأشكالها المتعددة في النصوص لان الذي يعين قيمة الكلمة هو السياق ..... والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة [١٢].

أنواع الخطاب:

إن طبيعة الخطاب تتحدد في نوعيه المباشر أو غير المباشر، بحسب حضور المقصود في نظامه، وعود الضمير على المخاطب أو الغائب، بغية الإفادة من المنظور التداولي للغة بقدر استثمار أمكانيات التحليل السيميولوجي للوحدات الوظيفية تحت عنوان شامل هو تحليل الخطاب[١٣] .

ينتقل ابن المقفع بين أكثر من حافة خطابية، فتارة يخاطب المفرد (المخاطب) في لهجة آمرة، نشعر إزاءها بالارتياح كونه يقيم خطابه على أساس منطقي حجاجي يقيم فيه الدليل على صدق ما يقول، وقد يلجأ إلى التعليل بغية رفع درجة الحجاج إلى اعلى مستوى أخلاقي، نجد ذلك ماثلاً في قوله: (لا تكونن نزر الكلام والسلام، ولا تفرطنّ بالهشاشة والبشاشة، فإنّ إحداهما من الكبر، والأخرى من السخف)[١٤].

لقد عمد ابن المقفع إلى إيضاح العلة في ذلك، فهي حجة منطقية أخلاقية ليست أسلوب الأمر الذي نراه أسلوباً مفهوماً مباشراً تجلت فيه كل سمات الخطاب الذي يراد منه تنفيذ أمر، وهذا التعبير المباشر يعتمد الأستدلال بواسطة العلة، الوجه الآخر للسلوك، إذ يكون الناتج سلبياً، لأنه (الأسلوب هو الوظيفة المركزية

المنظمة للخطاب) الذي هو (مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة)[١٥]، إذ ان كل نص يحمل في ثناياه لغتين زيادة على معنى النص الذي هو محصلة التأرجح بين اللغتين بحيث يصبح النص الأدبي حيزاً دلالياً تتصارع فيه شفرتان للمعنى ولا يمكن الإحاطة بالنص إلا من خلال الإحاطة بلغتيه معاً في حال تفاعلهما وهاتان الشفرتان هما العلة في بناء الجملة لأنها (وحدة أساس الخطاب)[١٦] إذ إنها بتضام الألفاظ فيها يتضح المعنى المطلوب وهي الدالة عليه والمؤدية إليه.

وقد يتجه الخطاب عند ابن المقفع اتجاهاً آخر يتوخى الطريقة الإيحائية، لإن جهة الخطاب تمثل سلطة ما، فيقول[١٧]:

(حق الوالي ان يتفقد لطيف أمور رعيته فضلاً عن جسيمها، فان للطيف موضعاً ينتفع به، وللجسيم موضعاً لا يستغنى عنه).

يتشح النص بإيحائية المسؤولية على أنها حق من حقوق الوالي، وفي ذلك أبراز للحجة عليه، إذ إنها في الواقع ليس حقاً من حقوقه، بل هي واجب لا مناص من تأدية مستحقاته، لأن الرعية أمانة في عنقه، ولكي يكون راعياً للأمانة بشكلها الصحيح، عليه أن يسهر على حقوق الرعية ويتفقد ما سماه (لطيف أمور رعيته)، وقد تخير لفظتي (لطيف – جسيم) لما فيهما من ايحائية وجدانية، إذ ان المتوالية اللفظية التي تسهم في التركيب الجملي، وتمثل هذه الألفاظ، النقاط المشعة في الجملة، وعلى مستوى النص بحيث تصبح دلالات خطابية تشير إلى فكرة النص، هي التي تعين فكرة الخطاب كونه أثراً دالاً على المعنى، أي ان هناك (حدثاً ومعنى)[١٨]، لأن الحدث يعني التحقق الزمني للخطاب، وبذلك يكون (الخطاب ممكن تبادل الإرساليات)[١٩] والمعنى يعني دلالة الخطاب بمقدار افهامه للمتلقي وهذان هما طرفا الخطاب (ومن التوتر بين (هذين) القطبين يولد إنتاج الخطاب كاثر)[٢٠].

لذلك يعد التعبير من خصائص انتظام مكونات الخطاب في سياق النص، مما يفضي حتماً إلى تحديد طبيعة الخطاب بكونه حدثاً مقروناً بدلالة المعنى، لأن النص الأدبي تكمن فيه إحالات دلالية خارج المعنى المعجمي للألفاظ، وان هناك

مساحة واسعة من الدلالات الثقافية والآيدلوجية والجمالية يمكن أن يطرق أبوابها النص كونه يحمل مضامين فكرية، يستطيع المتلقي –بحسب وعيه وفهمه للنص– تحديدها والانطلاق منها إلى آفاق أرحب تتناول أبعاد الحياة اجتماعياً أو ثقافياً أو سياسياً.

إن هذا المنظور نتلمسه عند ابن المقفع في أغلب نصوصه، وقد يبدو بارزاً في رسالة الصحابة والرسالة اليتيمة وكليلة ودمنة.

يستعرض الكاتب في نصوصه الحياة السياسية والاجتماعية والأقتصادية وسيرة الخليفة خاصة، بالنقد المبطن، منتقداً اسلوب الحكم في كل ميادينه، السياسية والأجتماعية والأقتصادية والدينية، إذ ان اللغة في هذه النصوص (النصوص– الخطابات) تصبح خاضعة لمبدأ الأختيار والتوزيع ويصبح تركيبها عملية مقصودة تخرق القانون الذي أقرته اللسانيات وكرسه الاستعمال المألوف، غير ان مفهوم الاستعمال نسبي)[٢١] ، إذ ان بنية الخطاب مدروسة بشكل دقيق تتيح للكاتب مساحة واسعة للحركة، وهي تبرز أكثر من مستوى خطابي يمثل وظيفة أسلوبية يقصدها النص، لان (الوظيفة الأسلوبية وظيفة سياقية موضوعية)[٢٢] تتحدد بموجبها اتجاهات الخطاب.

يقول ابن المقفع[٢٣]:

(وقد علمنا علماً لا يخالطه شك ان عامة لا تصلح من قبل انفسها، وانها لم يأتها الصلاح إلا من قبل أمامها...).

في هذا النص يذهب ابن المقفع إلى درجة اليقين التي يقطع بها الشك الذي يروج له الحاكم – أي حاكم– أن عدم رقي المجتمع وصلاحه، سببه المجتمع نفسه، لانه يمثل حالة تقوقعية غير قادرة على مواكبة الحكم، بينما يؤكد ابن المقفع حقيقة الحاكمين التي تواضع عليها الوعي الجمعي للمجتمع بأن صلاح العامة من صلاح الحاكم.

ان عملية سلب الإرادة التي تمارس من قبل السلطة لها ما يبررها من وجهة نظر السلطة نفسها، لان الإبقاء على مجتمع يعيش في دائرة المخيلة

المريضة تؤدي بالنتيجة إلى ان السلطة تدعم مركز بقائها فوق حشود الجياع المقهورين متهمة إياهم بإنهم لا يريدون أن يستيقظوا من نومتهم الأبدية.

لقد كان ابن المقفع ذا براعة في معالجته لموضوعات ذات مساس حاد بحياة الدولة والمجتمع، وقد تجاوز في بعض الأحيان المناطق الخطرة في النقد، فهو في كتابه –الأدب الكبير– يصف السلطان وصحبته، باسلوب متفجع لكل من رافق السلطان الجائر ويصفه بانه ابتلاء، لان ذلك لا حيلة فيه.

وحين يتعرض للملك يجعله أقساماً ثلاثة، ملك دين وملك حزم وملك هوى أحسنها ملك الدين وأبشعها ملك الهوى فهو لعب ساعة ودمار دهر(٢٤).

ان أنتظام الأفكار في نصوص ابن المقفع واتزان أحكامه وأصابته في الرأي، وتشخيصاته لأدواء المجتمع وعلل النظم السياسية التي تعاقبت على الحكم وقتذاك، كانت تمثل طروحات سياسية ناقدة استطاعت أن تنفذ إلى مكان جلوس الحاكم وأن تهز كرسيه، لإنها كانت تمتلك الواقع المزري إجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، وما تشخيص البطانة المحيطة بالمنصور، وحديثه عن الولاة الذين تعاقبوا على العراق، وكثرة إشاراته عن أخلاق السلطان وصحبته، إلا صورٌ فاضحة للحياة التي كان يعيشها المجتمع، إذ ان الفلسفة التي تدير دفة الصراع الطبقي هي فلسفة القوة، وقد اتخذ التعبير عنها صوراً شتى عند ابن المقفع، فهو يقول : (وقد أزرى بأهل العراق في تلك الطبقة، إن ولاة العراق فيما مضى كانوا أشرار الولاة وإن أعوانهم من أهل أمصارهم كانوا كذلك، فحمل جميع أهل العراق على ما ظهر من أولئك الفسول، وتعلق بذلك أعداؤهم من أهل الشام فنعوه عليهم)(٢٥)

إن الكاتب المبدع يستطيع بفعل قدرته أن يحول الواقع بصورته البائسة إلى واقع فني نابض بالحياة، مشبع بروح التحدي، يعتمد ذلك على القدرة الذاتية التي تتخذ من المنطق والحجاج سبيلاً للبرهنة على صدق الرؤية.

إن ما يجعل الكاتب يرى الأشياء بصورتها الحقيقية، هو ذلك الحدس الإبداعي الذي يستطيع بواسطته تحليل الحياة الإجتماعية في عصره، بوصفه شاهداً

مثقفاً على ذلك العصر بكل تقلباته، استطاع ذلك ابن المقفع بأسلوب ينتظم فيه التعبير ليكون الوظيفة المركزية للخطاب [٢٦] ، في الوقت الذي أوجد تزاوجاً منهجياً بين الأدب والسياسة، لإن (التفاعل بين الأديب والسياسي تفاعل متين وقوي مذ كانت السياسة وكان الأدب)[٢٧] ويتمثل هذا التفاعل في إن كليهما يستعملان اللغة المعبرة في محاولة لإيجاد خطاب من نوع ما مع المتلقي، فالنص يمثل خطاباً، والخطاب يمثل فكرة، إذن النص تنمو بداخله الفكرة، وهو ما حاول أن يسوغه ابن المقفع عن طريق الإقناع وممارسته بمتعة فنية بالمثل أو الحكمة أو القصة أو الأسطورة سعياً إلى تجسيد الفكرة، مما يجعل المتلقي ينساق معه بغية الوصول إلى الضفة الأخرى التي يرسمها عن طريق النص.

وما دامت الأسطورة تمثل المساحة الأوسع في النضج الفني، وإنها تشير إلى وقائع مزعومة فهي رسالة أو نسق من التواصل، ومن هنا لا يمكن أن نفهم الأسطورة على أنها موضوع أو فكرة [٢٨] ، بل هي نمط دلالي يخدم فكرة النص، إذ إنها لها (لغة يتم تنشيطها عند مستوى مرتفع بشكل خاص وتتابع فيه المعاني بما يجعل الخلفية اللغوية لها في حالة حركة دائمة)[٢٩] .

إن محاولة المنتفعين من السلطة، وهم دائماً أقلية، في الأبقاء على حرمان الأكثرية من مقومات الحياة سيدفع بالأديب أو المفكر إلى تبني موقف من مسيرة المجتمع العرجاء، وأن يكون أدبه صدى لهذا الموقف الذي تبناه (لإن الأدب هو تعبير عن واقع المجتمع وتطلعاته وواقع الإنسانية وتطلعاتها)[٣٠] .

كان ابن المقفع أديباً ذا وعي بما يجري حوله، وقد حاول أن يصلح عن طريق عرض الأفكار والنصح بالتلميح والتصريح ، الأمر الذي جعله يدفع حياته ثمناً لدعواته الإصلاحية فقد ابدع لوناً من الأدب السياسي الفكري في نقد السلطة الحاكمة، وكانت ترجمته لكليلة ودمنة خير معين في بث نقوداته على ألسنة الحيوانات، وكان للأسطورة في مخاطبة الذائقة الشعبية أثر بارز في ديمومة قراءة هذه القصص وقد أشار إلى ذلك ابن المقفع في مقدمة الكتاب بقوله (وأما الكتاب فجمع حكمة ولهواً، فأختاره الحكماء لحكمته والسفهاء للهوه)[٣١] فهو إذا يكتب

بوعي كامل، والقصدية واضحة جداً في الخطاب وقد تعانق في الأسطورة البعد التاريخي والمعرفي والديني والأخلاقي والإجتماعي والسياسي في تسلسل منطقي، لان قصدية الأداء في النص تقوم على ركيزتين أساسيتين هما، وظيفة اللغة في عباراتها المتماسكة وسبكها في قوالب متناسقة يتخللها حوار أو مثل لغرض ايصال الفكرة، والأخرى، الطاقة الانفعالية أو الشحنة التي أودعها في اللغة، الأمر الذي يجعل النص يحمل قيمة المفهوم الذي يتوخى ابن المقفع إدراكه من قبل المتلقي وتفاعله معه بغية إيصال الرسالة إليه وديمومة حركية المعنى المراد.

أشار ابن المقفع على لسان بيديا إلى وجود قوى سياسية منوعة بتنوع مرجعيتها الاجتماعية فهي تنتمي إلى طبقات مختلفة، وتسعى تبعاً لدرجة التأثير في سير المجتمع وقد توزعت هذه القوى على أربعة نماذج تحدث عنها في قصة ابن الملك وأصحابه[٣٢] وكان كل واحد منهم يؤمن بفكرة معينة فابن الملك يؤمن بالقدر وقد فتح له باب العودة إلى الملك وابن التاجر يؤمن بالعقل وقد قادته حكمته إلى الغنى وابن الشريف كان يؤمن بجماله وإنه خير من القدر والعقل فكان مردوده اقل من صاحبيه، أما ابن الاكار فكان يؤمن بالاجتهاد في العمل، فكان مردوده أقل من الثلاثة.

إن الذي يفهم من هذه النماذج الاجتماعية إن عملية الصراع هي من (وحي الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشها واكتوى بنارها)[٣٣] ابن المقفع، الأمر الذي جعله يستقرئ الواقع المعاش ويحاول اعادة صياغته وفق رؤية شمولية (للتعبير عن أوضاع مجتمع عربي أستبد به أولو السلطان وصنع تلك الحكاية من واقع عربي كان هو أحد ضحاياه)[٣٤] بواسطة المزاوجة بين الأسطوري والواقعي، لإن (العمل الأدبي لا يرتبط بالأيديولوجية بل عبر ما لا يقوله، فنحن لا نشعر بوجود الايدلوجية في النص إلا من خلال جوانبه الصامتة الدالة، أي نشعر بها في فجوات النص وأبعاده الغائبة)[٣٥] فهو لا يملأ الفجوة بكيفية أعتباطية وكيفما أتفق، بل أنطلاقاً من قرائن سياقية تحرض كفاءته المعرفية[٣٦] عن طريق اللغة حيث إن

اللغة (لا تتحول إلى كلام حقيقي أو على نص أو خطاب إلا بواسطة عملية القول ذاتها)[٣٧] .

وعملية القول هذه تتم عبر الحوارات الداخلية بين شخوص القصص الحيواني، لان عملية القول (ليست فقط جوهرية في صيغة النص ودلالته بل إنها أيضاً وراء بنية وأحداث لغوية تعبر عن مفاهيم أنسانية أساسية)[٣٨] هذه المفاهيم لا يستطيع الإنسان نفسه التعبير عنها نتيجة الظلم الاجتماعي والكبت السياسي الفاشي في المجتمع.لقد مثلت قصص كليلة ودمنة أنعكاساً موضوعياً لمرحلة تاريخية واقعية في حياة المجتمع العربي المسلم عانى فيها الظلم الاجتماعي[٣٩] وكان ابن المقفع بوصفه كاتباً واعياً أحد الرموز الناقمة عليه، مما جعله يقيم نسقاً من العلاقة المتضادة داخل النص إذ (لا يقوم هذا النسق على العلاقات المتوافقة فحسب بل يقوم بالمثل على الأختلافات والتوتر والصراع)[٤٠] وقد جعله تعبيراً عن أفكار تمس سقف الدولة ان يذهب بعيداً في إحالات الكلام قصد التعمية (فأحياناً يلتبس عائد الضمير فلا تدرك أرتباطاته واحالته حيث يضعك أمام تعمية أخرى تجعلك غير مطمئن إلى العلاقات القائمة مما يجعل النص مفتقراً إلى التمسك والأتساق)[٤١] حيث تتطلب عملية فك العلاقات المرجعية في النص الأدبي معرفة واسعة بمختلف الجوانب الأدبية والتاريخية والدينية والأسطورية التي أسهمت في ولادة النص.

دلالات العنونة :

إن العنوان ليس سائباً بالنسبة للنص ، أو أنه يعد زائداً يمكن الاستغناء عنه، إنما هو يختزل أفكار النص بالكامل، فهو (أعلى اقتصاد لغوي ممكن... وأعلى فاعلية تلقّ ممكنة)[٤٢] إذ أنه يشكل جزءاً من النص، لانه (المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة)[٤٣] .

إن امتلاك العنوان ناصية القدرة على الإيحاء نابعة مما يمدنا به من دلالة معجمية وتركيبية نحوية وبناء صرفي وغير ذلك من قدرات إنسانية أو رمزية وهو بهذا يمثل طاقة دلالية مكثفة.

تتشكل العنوانات عند ابن المقفع من ثنائية اسمية سواء كان ذلك من الصفة والموصوف أو المضاف والمضاف إليه أو المعطوف والمعطوف عليه.

فالعنوان يمثل في النص الشفرة الاولية للمتلقي ويعبر عن ذلك بأنه(نظام سيميولوجي يحمل قيماً أخلاقية واجتماعية وأيديولوجية) (٤٤) .

ان ابن المقفع حينما يسمي كتابه –الأدب الصغير– لا يعني ذلك إنها تسمية أعتباطية، بل إن العنوان يعني فحوى الكتاب، وأستطيع أن أحدد سببين لتسميته:–

١– لتمييزه عن كتابه –الأدب الكبير–.

٢– كونه يسرد فيه وصايا عامة غير محددة بفئة أو جنس، وعدها (عوناً على عمارة القلوب وصقالها وتجلية أبصارها، وأحياءً للتفكير، وأقامة للتدبير ودليلاً على محامد الأمور ، ومكارم الأخلاق) ولاجله كانت تسميته بهذا الأسم بأعتبار ان دلالة العنوان تثير(أنتباهنا نحو الموقع الذي يحتويه)(٤٥) .

ان العنوان بدلالاته الايديولوجية والاجتماعية هو خط التماس الأول مع المتلقي أو القارئ ، ويشكل في المفهوم العام نقطة الضوء التي (تستقصي كل الصفات التي تهدف إلى غاية تعبيرية معينة)(٤٦) ولذلك فأن الدلالة التي تنضوي تحت خيمة العنوان لا يمكن التغافل عنها.

وعلى عكس –الأدب الصغير– نجد ان كتابه– الأدب الكبير– يمثل حالة أوسع واشمل من سابقه أذ أطلق عليه اسم (الكبير) ما يعني في دلالاته عن الدائرة الأخلاقية والأجتماعية التي تغطيها دلالة العنوان أوسع وأكبر، فقد حوى عنوانات داخلية تناول فيها ما يخص السلطان وصحبته واقسام الملك واصول الأدب في الدين وغيرها من العنوانات الداخلية التي تعد في متبنياتها الفكرية ووضوحها الدقيق تدور حول غاية لذلك فهي (متعادلة لأنها تبدو كأنها

صيغ متعددة لمولد بنيوي واحد فالنص في حقيقة الأمر تنويع لبنية واحـــدة)[٤٧] وهذا يعني عن أنزياح العنوان إلى بنية انتقائية لم يخرق الوحدة الأسلوبية التي يضطم بين دفتيها متن الكتاب، لان العنوان والنص يشكلان بنية تعادلية كبرى: العنوان – النص)[٤٨] هذا ما نلحظه في (رسالة الصحابة) كعنوان إذ ان فيـــه دلالاتين ينصرف إليهما ذهن الناقد بوصفه قارئاً واعياً هما:

١- **<u>دلالة تاريخية دينية</u>:**- وهي إن مصطلح (الصحابة) عند سماعه ينصرف الذهن إلى عصر الإسلام الأول إذ يمثل فيه الصحابة الصورة النقية ممـــا يعني انهم حريصون على مسيرة الدولة والمجتمع ولأنهـــم حاضـــرون – بالمعنى الميافيزيقي- الأمر الذي يدل على ظلم اجتماعي جـــارف يجتـــاح المسلم، وابن المقفع بوصفه مثقفاً إسلامياً يشعر بذلك شعوراً قوياً مما دعاه إلى أن يكتب هذه الرسالة التي تعني انها (رسالة من الصحابة).

٢- **<u>دلالة سياسية انتقادية</u>:**- أي إنها ليست (رسالة من الصحابة) على أساس ان الصحابة الذين يقصدهم هم هؤلاء البطانة التي تحيط بالحاكم –الخليفة- الذين أشار إليهم في متن كتابه بالقول[٤٩] :

(ومما يذكّر به أمير المؤمنين أمر أصحابه فانه من أولى امر الوالي بالتثبـــت والتخير، أمر أصحابه الذين هم فناؤه، وزينة مجلسه، والسنة رعيتـــه، والأعـــوان على رأيه، وموضوع كرامته، والخاصة من عامته...) في حديث طويل عـــنهم إذ يصفهم بأنهم لا ينتهون إلى أدب ذي نباهة ولا حسب، ولا من قرابـــة الخليفـــة ولا ممن عرف ببلاء في سبيل الله ولا هم من أبناء المهاجرين والأنصار وإنما هم من الأوغاد (وهنا ينسجم كل ما يقوله النص مع الشفرة الأولية)[٥٠] التي هي العنـــوان الرئيسي وقد جعله مضافاً ومضافاً إليه في ظاهره، إلا ان مبتدا وكلمـــة مردوفـــة تعطي معنى الخبر –كما أرى- لانه حمل كل افرازات النص وتجلياته وتشـــابكاته، وانه يحمل طابعاً ايحائياً مشبع برؤية للعالم وموقفاً محدداً منه[٥١] وهذا يرجع إلى أن (العنوان هو المولد لتشابكات النص وأبعاده الفكرية والأيديولوجية)[٥٢] .

ان النص في تأسيسه لعلاقة مع المتلقي يبدأ من العنوان بوصفه مقدمة النص أو الصورة المصغرة للنص يستوحي منه المتلقي هواجس النص نجد ذلك في كتاب ابن المقفع (الرسالة اليتيمة)، وبحسب المعرفة التصورية ندرك انها صورة محددة من صور النص المكتوب التي تستوحي بنيتها من الخطاب كونها تمثل خطاباً يوجهه غائب الغائب اخر[٥٣] ، لانها تتبنى صفة الخطاب الغيابي وهذا يعني انها تقدم نظرات تخطيطية مختلفة يمكن لموضوع العمل ان ينظر من خلالها، غير ان تحليلها العام في التعبير عن افكار الكاتب هو من فعل الإدراك، وإذا كان ذلك كذلك، فان للعمل الأدبي قطبين فنياً وآخر جمالياً إذ يشير القطب الفني إلى النص (الرسالة) الذي أبدعه الكاتب، ويشير القطب الجمالي إلى فعل الإدراك الذي ينجزه القارئ بالتفاعل مع النص والتمّثل للأفكار التي يعرضها بغية تكوين (جسر إلى مقاصد صاحبه حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته لا الفنية فحسب بل الوجودية مطلقاً)[٥٤] .

أما كليلة ودمنة فأن عنواناتها تشير إلى شخوص القصة أو الحكاية برمزية خارجية، لان الواقع ينتظم في النص الحكائي أو القصصي بواسطة منطق كلي خاص يحدث تأثيراً جمالياً حجاجياً في المتلقي حال تواصله مع النص.

ان المعاني في تعابير الأفراد الذاتية، من حيث انهم مكونات المجتمع، قد تكشف الواقع الذاتي المعاش نظراً لاختلاف هذه المعاني وتعددها في الدلالة على تصرفات الأفراد، إذ ان معرفة هذا الواقع تعود إلى التحليل المنطقي لهذه التصرفات، وبيان المضامين الحجاجية عن طريق نظم وقواعد معينة، وهذا يرتكز على فهم وتحليل الظروف التاريخية والاجتماعية التي سمحت بوجودها، لان منها ما يسهم في خلقه وأتساع أبعاده، الخيال الشعبي بحثاً عن الراحة واستنكاراً لذلك الواقع وهذا يخلق تصادماً بين المرئي والمتخيل الذي يسعى المجتمع إلى تحقيقه بواسطة العنف المرتبط بالأسطورة، التي تشير إلى الواقع المستلب، لان (أسطورة تشير دائماً إلى وقائع يزعم انها حدثت منذ زمن بعيد لكن ما يعطي الأسطورة قيمتها العلمية هو إن النمط الخاص الذي تصفه بكونه غير ذي زمن محدود، إنها

تفسر الحاضر والماضي وكذلك المستقبل)[٥٥] لأنها تمثل نمطاً دلالياً ووسيلة من وسائل إلغاء الزمن والسير خارج إطاره اللامعقول ولذلك فان الأسطورة التي تهيمن على حكايات كليلة ودمنة تتجذر عن خطاب سياسي ينتقد الواقع في تشخيص دقيق، إذ تعمل الأسطورة كموجّه لمعنى الخطاب وتأويله بغية تجسيد الامتداد بين المنظور الأسطوري والمنظور الواقعي عن طريق الخطاب السياسي باعتباره بنية تتأصل عنها علاقة الحاكم بالمحكوم.

الخاتمة

اشار البحث إلى ان هناك أكثر من خطاب يتخلل النص، وبيّن إن ذلك مرتبط بطبيعة الجهة الموجه إليها الخطاب زيادة على أيديولوجية النص الخطابي عند ابن المقفع إذ إنه كان محكوماً بغائية علّيّة اتخذت طريق الحجاج في النصوص غايتها الإقناع، إن المزاوجة بين الأسطورة والواقع لا سيما في كليلة ودمنة التي مثلت رقياً فكرياً في أسلوب معالجة الأمراض الاجتماعية وطبيعة الحكم الاستبدادي، والقوى التي تقود عملية الصراع داخل المجتمع كل ذلك أفاد منه ابن المقفع في اعتماده سبل التعليل لظواهر مرضية، بالتلميح أو بالتصريح، ومن منظور تواصلي للخطاب سعياً منه لتعزيز طروحاته لغرض الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ولتنبيه المجتمع بطريقة تعتمد الفكر الحركي وسيلة لتغيير الواقع المزري الذي يعيشه.

وفي دلالة العنونة توصل البحث إلى طبيعة التشكيل الثنائي للعنوانات عند ابن المقفع وبين أن أسباب ذلك أما أخلاقية دينية أو سياسية اجتماعية.

الهوامش

١- علم الدلالة:١١
٢- المفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ٦٦.
٣- التعريفات: ٥٥.
٤- ينظر: أثر المعنى في الدراسات النحوية نهاية ق٤ الهجري، أطروحة دكتوراه:١٠-٢٠
٥- اشكالية المنهج في النقد العربي: ٧.
٦- صغريات المعرفة : ٣٤.
٧- تحليل الخطاب في الدراسة الإعلامية: ١٢.
٨- من النص إلى الفعل: ٨٠
٩- ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٤٦-٣٧٦.
١٠- الأسس النفسية للأساليب البلاغية: ١١١.
١١- الأدب والدلالة :١٦.
١٢- ينظر: اللغة :٢٣٠.
١٣- ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٩٨.
١٤- الأدب الصغير: ١١٢-١١٣.
١٥- الأسلوبية :٢٥٦.
١٦- النص والخطاب والاجراء:٦.
١٧- الأدب الصغير: ١١٧.
١٨- من النص إلى الفعل: ٨٠.
١٩- نفسه.
٢٠- مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم: ١٢٢.
٢١- نفسه .
٢٢- رسالة الصحابة: ٢٢٢.
٢٣- الأدب الكبير :١١١.
٢٤- رسالة الصحابة: ٢٠٥.
٢٥- ينظر: الأسلوبية: ٢٥٦.
٢٦- علاقة الأديب بالسياسي في المجتمع العربي: ٧.

٢٧- الأسطورة اليوم: .٥

٢٨- الأسطورة والمعنى: .٦

٢٩- ما وراء النقد الأدبي:.١٠٥

٣٠- كليلة ودمنة: .٥٨

٣١- كليلة ودمنة: .٣٠٨

٣٢- تراثنا كيف نعرفه: .١٣٤

٣٣- نفسه: .١٣١

٣٤- الايديولوجية في الرواية: .١٠٤

٣٥- ينظر: نفسه: .١٠٧

٣٦- في بناء النص ودلالته: .١٨

٣٧- في بناء النص ودلالته: .١٩

٣٨- ينظر : النقد والايديولوجيا: .٣٣٦

٣٩- اللغة المعيارية واللغة الشعرية: .٣٨

٤٠- أشكالية التلقي والتأويل: .١٦٧

٤١- العنوان وسيميو طبقا الاتصال الأدبي:.١٠

٤٢- السيميو طبقا والعنونة: .٩٠

٤٣- السيميو طبقا والعنونة: .٩٩

٤٤- نفسه: .٩٨

٤٥- نظرية الأدب: .٢٢٨

٤٦- سيميو طبقا لشعر، مدخل إلى السيميو طيف:.٥٦

٤٧- السيميو طبقا والعنونة: .١٠٦

٤٨- رسالة الصحابة: .٢١٣

٤٩- سيميو طبقا الشعر: .٦٥

٥٠- ينظر: السيميو طيفا والعنونة: .١٠٠

٥١- نفسه: ١٠٦.

٥٢- ينظر :البلاغة والأسلوبية:.٢٩

٥٣- الأسلوبية والأسلوب:.٦٨

٥٤- الأسطورة والمعنى: ٥.

المصادر والمراجع

- الأدب والدلالة ، تزفيثان تودوروف، ترجمة محمد نديم خشفة، مركز الأنماء الحضاري، حلب ،ط١، ١٩٩٦.

- الاسس النفسية في البلاغة العربية، د.مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٨٤.

- الاسطورة والمعنى، كلودليفي شتراوس، ترجمة شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦.

- الاسلوبية والأسلوب، د.عبد السيلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٢.

- الاسلوبية، عدنان بن ذريل، مجلة الفكر العربي، مركز الانماء العربي، ع٢٥، س٤، ١٩٨٢.

- الاسطورة اليوم، رولان بات، ترجمة حسن العرفي، الموسوعة الصغيرة، الشؤون العامة، بغداد، ١٩٨٥.

- اشكاليات التلقي والتأويل، د.سامح الرواشدة، منشورات أمانة عمان الكبرى، جامعة مؤتة، ٢٠٠١.

- اشكالية المنهج في النقد العربي، د.محمود طرشونة، الأقلام ، ع٤، س٣٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

- الايديولوجيا في الرواية، عبد الجليل الازدي، علامات، مكتاس، ع٧، ١٩٩٧.

- بلاغة الخطاب وعلم النص د.صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٦.

- البلاغة والأسلوب، هنري بليث، نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق د.محمد العمري ومنشورات دراسات سال، ط١ ١٩٨٩.

- تحليل الخطاب الشعري (ستراتيجية التناص)، د.محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

- تراثنا كيف نعرفه، حسين مروة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥.

- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان– بيروت، ١٩٦٩.
- حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة سالم يقوت، الار البيضاء، ط٢، ١٩٨٧.
- علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- العنوان والسيميو طيقا، د.محمد فكري الجزار، الهيأة المصرية العامة للكتاب، د. ١٩٩٨م.
- في بناء النص ودلالته، مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق – سوريا ، ط١، ١٩٩٨.
- اللغة، ج.فندريس تعريب عبد الحكيم الدواخلي ومحمد القصاص، نشر مكتبة الانكلو مصرية، مطبعة البيان العربي، ١٩٥٠م.
- اللغة المعيارية واللغة الشعرية، موكاروفسكي، ترجمة الفة كمال الروبي، فصول، مج٥، ع١، ١٩٨٤.
- ما وراء النقد الأدبي، تيسير شيخ الأرض، مجلة الفكر العربي، ع٢٥، س٤، ١٩٨٢.
- المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع، دراسة وتحليل، يوسف أبو حلقة، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨.
- مشكلة الجنس الأدبي العربي القديم، مجموعة باحثين، كلية الأدب، منوبة، تونس ١٩٩٤.
- مفاهيم الجمالية في أدب الجاحظ، ميشيل عاصي، العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.
- من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل، بول ريكور، ترجمة محمد برادة، حسان بوقية عين للدراسات والبحوث الإنسانية، والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، ط١ بيروت، ١٩٨١.

- النص والخطاب والاجراء، بوجراند، ترجمة د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.

- نظرية الأدب، تأليف عدد من الباحثين السوفيت، ترجمة د.جميل نصيف التكريتي، المركز العربي للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٠.

- النقد والايديولوجيا، بحث في تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث، فاروق العمراني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ١٩٩٥.

- اليسيميو طيقا والعنونة، د.جميل حمداوي، عالم الفكر، مج ٢٥، ع٣، ١٩٩٧.